النهضة والحركة الاصلاحية في الفكر الصوفي عند مرتضى مطهري

The Renaissance and The Reform movement in Al Sufi thoughts according to Mortada Motahari

م.م حسين رسن عبدالحسين

الجامعة المستنصرية ـ كلية الاداب ـ مجلة اداب المستنصرية

husseinraassn@uomustansiriyah.edu.iq

M.M. Hussein Rasan Abdul Hussein

Al-Mustansiriya University - College of Literature - Magazine

Literature of Al-Mustansiriya husseinraassn@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

في هذا المبحث قراءة مختصرة للسيرة العطرة للشهيد الشيخ مرتضى مطهري , اذ كانت هذه الكتابة جاءت لتشرح مسيرته كونه عارفا ذائبا في الله بكل كيانه ووجوده , على العكس من الكثير , الذين تناولوا شخصيته كونه مفكرا وفيلسوفا , فقد اعطت هذه الدراسة البعد العرفاني التوحيدي الخالص لله الاثر الاكبر في حركته ومسيرته الفكرية والاجتماعية والسياسية , مازجا بين حبه لله وعرفانه , وبين عمله الاجتماعي والسياسي , اذ استطاع ان يقوم بتمتين الصلة بين اصلاح نفسه الانسانية وبين اصلاح المجتمع وخدمة الاخرين , عاملا بكلتا الحالتين الى التقرب لله والفناء فيه , متناولا البدايات الاولى لنشأته ودراسته وتكوين ثقافته وحركته في المجتمع الايراني واثره

فيها وصولا الى تأسيس الوعي الثوري المنتج للثورة الاسلامية في ايران ودوره في التأسيس السياسي لهذه الثورة المباركة وشهادته في اوائل التأسيس.

الكلمات المفتاحية : مطهري ـ الامام الخميني ـ العرفان ـ الاصلاح ـ الوعي

Summary:

This research is a brief reading of the scent biography of the martyr Sheikh Mortada Mutahari as this writing demonstrates his path as a knower dissolved in God with all his being and existence in contrast to many who dealt with his personality as a thinker and philosopher. This study gave the pure mystical monotheistic dimension of God the greatest impact In his intellectual social and political movement and career he combined his love of God and gratitude with his social and political work as he was able to strengthen the link between reforming his human self and reforming society and serving others, working in both cases to draw closer to God and annihilation in him addressing the first beginnings of his upbringing, studies and formation of his culture. His movement and influence on Iranian society led to the establishment of the revolutionary awareness that produced the Islamic Revolution in Iran as well as his role in the political establishment of this blessed revolution and his testimony in the early days of its establishment. Keywords: Motahhari- Imam Khomeini- Gratitude - reform - awarenes

تمهيد :

شكلت سيرة الشهيد مطهري الكثير من الدراسات التي كتبت عن شخصيته وحركته النهضوية والثورية بوصفه مفكرا وفيلسوفا ولم تعطي او تجعل من حركته كونه شخصية صوفية وعرفانية قد سلكت طريق الله والوصول اليه بالتوحيد الخالص , اذ شكلت سيرته منهجا متبعا للكثير من السالكين , اذ كان مربيا ومهذبا للإنسان سائرا به في طريق الانسانية وعلى جادة الدين الحنيف للوصول الى التوحيد الالهي الصحيح , فكان يدعو الى التركيز على

تهذيب النفس الانسانية والسير بها الى الارتباط بالله من خلال تحليها بالأخلاق الفاضلة وتأدية حقوق الله بالواجبات اتجاه المحيط الاجتماعي اذ ان الاسلام يمازج بأداء الواجبات , جاعلا من الدنيا ممرا يصل به المرء الى الاخرة , فالكمال عند مطهري هي الغاية والهدف والمنتهى والمصير والحراك الانساني , وبالتوحيد هو الضابط والموجه للبشرية جمعاء , فالبنية الداخلية للتصوف والعرفان تعمل على اصلاح المجتمع , وتسير في تكميل الذات الدينية , عاملة على الاصلاح الديني للدولة ونشره في المجتمع , فالإسلام يمثل منهجا متكاملا للحياة , وهو دين ينهض بالمجتمع في كل جوانبه الدنيوية والاخروية غير مقتصر على جانب دون اخر , وان الممارسة العرفانية تدعو الى التربية الذاتية والتربية المجتمعية , بدون التقصير في واحدة منها , لان التقصير في واحدة منها لا يؤدي بالعارف الى الوصول للهدف والغاية المنشودة بصورة صحيحة , وهذه هي النظرة الحقيقية والصحيحة لهؤلاء العارفين , على العكس من الصورة السلبية المأخوذة والسائدة عليهم , باعتزالهم الناس , واعتكافهم في ديار خاصة , وابتعادهم ونبذهم للسياسة وشؤونها , لان تلك الاعمال تبعدهم وتشغلهم عن العبادة والتقرب لرب الارباب ومعشوقهم , اذ ان ذلك يعتبر هروبا وانهزاما من مسؤوليتهم وانسحابا مما انيط بهم مهام من قبل الله .

المقصد الاول :البواكير الاولى لتشكيل الوعي عند مرتضى مطهري

المطلب الاول :اثر السيرة الذاتية في الاختيار الثقافي

"الشيخ مرتضى محمد حسين مطهري" , عالم دين وعارف ومفكر وفيلسوف وكاتب شيعي من ايران , وهو احد قادة ومنظري الثورة الاسلامية في ايران , ومن المؤثرين البارزين قبل وبعد انتصارها , والعضو المؤسس في شورى الثورة الاسلامية في ايران , ومن ابرز تلامذة ومقربي قائد الثورة الاسلامية الامام الخميني إذ كانت معه علاقة قوية ومتينة وحميمة، اذ كان اكبر شخصية دينية وعرفانية وسياسية في القرن العشرين , اذ تعد السمة الابرز في شخصيته هي " البعد العرفاني الذي تميز به في كتبه واحاديثه وخطاباته لدرجة بات الكثيرون يشيرون اليه كواحد من اهل العرفان المميزين في هذا العصر" (الحيدري، ٢٠١٣: ص٣٩٦)، وكذلك تتلمذ على يد السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان ومن الشخصيات الدينية الكبيرة والعرفائية, ودرس ايضا على يد اكابر الفقهاء والمجتهدين في الحوزة العلمية آنذاك .

كان مطهري من مؤسسي حسينية ارشاد والتي تعد من اهم المراكز في نشر المعارف الاسلامية قبل انتصار الثورة الاسلامية فقد ضمت بين جدرانها عمالقة النهوض الفكري والسياسي والاجتماعي الايراني ما قبل الثورة وبعدها امثال الامام الخامنئي، وعلي شريعتي، وهاشمي رفسنجاني، ومهدي بازركان، وغيرهم الكثير الذين كانوا لهم الدور الرئيسي في نفض غبار المجتمع الايراني ونهضته , والذين تصدوا فيما بعد لمسك زمام الامور في

الدولة الفتيه وقيادتها، وبعد الثورة اصبح مطهري من المؤسسين لجمعية رجال الدين المقاتلين (جمعية روحانيت مبارز)، وكذلك تم تعيينه رئيسا لمجلس قيادة الثورة.

ولد مطهري في مدينة فريمان وهي احدى المدن التابعة لمحافظة خراسان سنة (١٩١٩م) من عائلة معروفة بالعلم والايمان وبالفضل والتقوى ومن وجهاء المنطقة، إذ نشأ في ظل رعاية والده متأثرا به وبشخصيته, فرحل الى مدينة مشهد ملتحقا بحوزتها العلمية طالبا لعلومها الدينية وهو في سن الاثني عشر سنة , فتربى تربية دينية روحية عالية ابان نشأتها الاولى , ومن ثم ذهب الى مدينة قم المقدسة لإكمال الدراسة فيها , وقد حضر دروس اكابر العلماء هناك كالسيد البروجردي والخونساري ومهدي المازندراني والشيرازي الاصفهاني بالإضافة الى الشخصيتين الكبيرتين التي كانا لهم الاثر الكبير في اثراء وبناء فكره وشخصيته هما الامام الخميني والسيد الطباطبائي .

اصبح مطهري تدريسيا في جامعة طهران بكلية الالهيات , وماكثا في طهران لمدة اثنين وعشرين عاما , وهي من اهم سنين حياته عطاء وتأثيرا , فعمل على استنهاض همم الشباب وخصوصا طلبة الجامعات , باعثا فيهم القيم الاسلامية بالإرشاد والهداية والبحث والتأليف , حاملا للمسؤولية العظيمة والتكاليف الشرعية اذ ان "من يحمل مصباح ويجد هناك اناسا يعيشون في الظلام يجد نفسه مسؤولا عن انارة الطريق , عن ازالة الظلام عنهم , عن اخراجهم من الظلمات الى النور , ان هذا الشخص الذي بيده المصباح لا يجوز ان يتخذ منهم موقفا سلبيا فيقول ما بالي وبالهم ؟ انا في نور وهم في ظلام" (الصدر، ١٤٢٨هـ: ص٣٦٢)،فحمل شعلة الكتابة والبحث والمحاضرات واللقاءات , فكان منقطعا الى الله من جهة , ومتواصلا مع الناس من اجل تكميلهم من جهة اخرى .

لقد انفق مطهري عمره الشريف من اجل تحصيل واتقان العلوم المختلفة وبدقة، فكان له المعرفة العميقة في تلك العلوم ومنها اللغة والادب الفارسي والعربي والفلسفة والعرفان والسياسة والكثير من العلوم والمعارف فعملت على تشكيل ثقافته وتكوين طريقة تفكيره واهتماماته مما ساعدت تلك الثقافة الواسعة والمعرفة الشاملة بالمواجهة لتلك التيارات المختلفة والمتنوعة التي شهدتها الساحة الايرانية خصوصا والاسلامية عموما, وتعرض الى الكثير من الاعتقالات من قبل السلطة البهلوية الحاكمة آنذاك , ولعدة مرات بسبب نشاطه , وعلمها بعلاقته الوطيدة مع الامام الخميني , فقدم نفسه قربانا على مذبح الحرية وفي اوائل انتصار الثورة وفي اشهرها الاولى حين ارتحل الى بارئه مضرجا بدمه الطاهر مقتولا شهيدا فان "خط الشهادة هو خط الفعالية الربانية المكلفة بتهذيب المادة وسلخها عن المحورية واقرار محورية الغيب والقيم العقلية والمعنوية بوصفها اساسا للحياة الانسانية" (زادة، بزركي، كاظمي ، ال نجف، اللهي، و بناه، ٢٠١٣، ص٢٠٢) فكانت شهادته نصرا كما انتصرت كربلاء الحسين عليه السلام .

كان لشهادته الاثر والوقع الكبير على قلب قائد الثورة الامام الخميني , اذ بكى عليه ونعاه بأكبر عبارات الرثاء واصفا اياه بطاهر الروح وقوي الايمان وبمقدرته على البيان , وجعل من يوم شهادته يوما للمعلم في ايران , وقد شيع جثمانه الشريف الشعب الايراني , يتقدمهم علماء الدين ورجال الثورة والحكومة , فأصبحت حياة مطهري "الروحية والاخلاقية منهلا يتدفق بالمعنى الذي يثري حياة الناس على الدوام ، بالأمل والحلم والتفاؤل والطموح ، ويكون حافزا اساسيا للإبداع والانتاج والعطاء" (مجموعة باحثين، ٢٠٢٠، ص٣٤)

لقد كان النضج العقلي والروحي لدى مطهري في اعلى مراتبه، فقد كان يطوي مسيرة تكامله من خلال سير نفسه الضعيفة الى قوتها في تكاملها بصفاتها الاخلاقية والنفسية، فكانت شخصيته متلائمة مع مظهره الانساني، اذ كان عاملا على تنمية الجوانب الروحية المعنوية بترويض نفسه وتهذيبها بالعبادة فجسد ذلك الايمان مقرونا بالممارسة العملية , ولهذا نجد عند مطهري "التناسق الكامل بين الثورية في السياسة لرفع الظلم وبين العرفان الحقيقي" (الاملي، ٢٠٠٩، ص٣٧)

المطلب الثاني: المعرفة والعرفان والتصوف لدى مطهري

المعرفة والعرفان كلمتان لمعنى واحد وهو الاطلاع او الوعي، وهذه المعرفة تنشأ وتتكون من عدة طرق كالعقلي والحس والنقل والقلب، وهذه المعرفة هي من خلال الدلالة والناحية اللغوية، اما من الناحية الاصطلاحية فان معنى العرفان يختلف عن المعرفة وله معنى خاص مختلف عن المعرفة اذ يطلق على العرفان من الناحية الاصطلاحية على نوع معين من المعرفة وهذا النوع المعرفي المختص لا يتم الحصول عليه عن طريق العقل والنقل او الحس والتجربة وتسمى هذه بالحصولية، بل يحصل عن طريق القلب بالشهود الباطني والرؤية الحضورية وهذه المعرفة تسمى بالحضورية، وفيها يدرك العالم ذات المعلوم وذلك بصورة مباشرة "فالعارف تضئ له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب" (القشيري، ٢٠٢٣: ص٤٨٢).

العرفان والتصوف قسمان :السلبي والايجابي , فالسلبي الذين يجتهدون في الوصول واحراز اثار النفس الخفية والعمل على تسخيرها في موارد منافية للاحكام الالهية الشرعية كتحضير الجن والسحر والشعوذة ...الخ اذ يبغون من وراء ذلك الاجتهاد الوصول الى الملذات الدنيوية كالسمعة وكسب المال وهنا قد عملوا على عبادة الاثر دون المؤثر, اما الايجابي فهم الذين تعمقوا واستخرجوا كوامن النفس واسرارها وهم اهل المعرفة الحقة الذين صانوا الحقيقة بالعلم بصفاء نفوسهم , ولهذا فان العرفان بسيره وسلوكه يبغي الى ان يتعرف "ويتضح للسالك كيفية الوصول الى القمة المنيعة للإنسانية , وهي التوحيد" (مطهري، العلوم الاسلامية (١-٥) المنطق، الكلام، العرفان، اصول الفقه، علم الفقه، ٢٠١٧، ص١٥٩).

ان المعرفة الصوفية تختلف عن المعرفة لدى الاخرين كالفلاسفة والمتكلمين والتجريبيون وغيرهم، فمعرفتهم لله معرفة حضورية عن طريق القلب والكشف والشهود الباطني والقلبي، فالعارف كمتذوق الطعم الحلو في فمه فهو يشعر بالحلاوة على العكس من الاخرين، فمهما وصفنا واسترسلنا بطعم الحلاوة فانه لا يشعر بذلك الطعم، ولهذا فان الفرق بين العارف وغيره كفرق الذي يرى عن الذي يسمع وليس السماع كالرؤيا، فللعارف رؤيته الخاصة للألوهية وللعالم والدين، والصلة ما بين الله والعبد والعالم، كما ان للفقهاء والفلاسفة والمتكلمين رؤيتهم الخاصة بذلك , وان الغاية من السير والسلوك لدى العارف السالك هو الوصول الى طريق نهايته الوصول الى الحق ملك الملوك "وان الى ربك المنتهى" (القرآن الكريم، النجم، آية ٤٢) اذ ان اول الدين معرفته وهو ما اشار اليه امام العارفين علي عليه السلام في غرر الحكم ونهج بلاغته والكثير من تلك الاشارات الوصول الى المعرفة الحقيقية وهي معرفة الله وهذه المعرفة متوقفة على معرفة النفس الانسانية "من عرف نفسه فقد عرف ربه... من عرف نفسه فقد انتهى الى غاية كل معرفة وعلم" (آمدى، ١٩٨٧: ص٢٣٢) والارتقاء بها من حضيض الامراض النفسانية الى الارتقاء والوصول بكمال الاخلاقيات الالهية , فيرى مطهري ان العرفان العملي يتكفل بإيضاح وتبيان "الطريق العملي الذي ينبغي للسالك ان يسير عليه ليصل الى قمة الانسانية المنيعة والمتمثلة بالتوحيد , حيث يرسم للسالك نقطة البداية والمراحل التي يتخطاها" (مطهري، العلوم الاسلامية (١-٥) المنطق، الكلام، العرفان، اصول الفقه، علم الفقه، ٢٠١٧، ص١٥٩).

في الثقافة الشيعية يتجنب استخدام كلمة الصوفي , لان كلمة الصوفي اصبحت تحمل معنى سلبيا , ولكن في العقل الشيعي اين مانقابل كلمة التصوف تقابل كلمة العرفان , فيرى مطهري بأن اهل العرفان يسمون عرفاء في معرض المعرفة , ويسمون بالمتصوفة في معرض الاجتماع , فيقول "وقد عرّف مشايخ العرفان بوصفهم طبقة علمية بالعرفاء , وبوصفهم شريحة اجتماعية بالمتصوفة" (مطهري، العرفان، ٢٠١١، ص١١)، ولهذا فان العرفان والسلوك الاخلاقي في السير الى الله مكانه مهمة ومرموقة لدى الشهيد مطهري، فقضى عمره المبارك في جهاد نفسه وتربيتها وتأديبها منزهها عن محارم الله وطاعة له منذ بداية عمره الشريف، فكان ارتباطه وثيقا بالله قائما على المعرفة والعبودية الحقة له, فكان زاهدا يعلم الناس العبادة الحقيقية لله وليس للحاكم ,بركوع لله وليس لغيره , ببكاء ودعاء قراني صحيح , فكان عارفا منصرفا الى عبادة الله بكل كيانه ووجوده وفكره.

بدء مطهري الاصلاح من ذاته واضعا بصماته في كل مرافق الحياة , فبدء عرفانه منطلقا به من الله الى الانسان , وليس من الانسان الى الله , فبدء جهاده مبتدئ بجهاد نفسه , بصراع نفسه للشهوات , منتهيا الى جهاد ومقارعة الطغاة والظلمة والمستكبرين , فكانت خلواته العرفانية وعبادته المنطلقة من العشق الالهي من اهم العوامل التي ادت الى التوفيق في حياته, متمكنا من الوصول الى اللذائذ المعنوية العميقة اذ يقول مطهري "نحن نمتلك

مجموعة من اللذائذ المعنوية التي ترفع من مستوى معنوياتنا" (مطهري، شبكة المعارف الاسلامية، ٢٠١٦: ص ١٧٠) اذ يظن الكثير من الناس ان التوجه والانقطاع الى الله يعني الابتعاد عن الناس وقطع العلاقات والخدمات الاجتماعية وعدم الاهتمام بالأمور السياسية وسائر شؤون العباد والبلاد , وهذا غير صحيح , اذ ان احدى الطرق التي تقرب العبد الى ربه هي خدمة الناس ومواساتهم والعمل على قضاء حوائجهم , بل ان المتصوف العارف هو من يستشعر المسؤولية الشرعية تجاه نفسه والمجتمع , وهو الذي يلج في كل ميادين الحياة المختلفة وذلك لإصلاحها والعمل على سير تلك النفوس في سلم كمالها , وهي رسالة الهية .

ان النبي محمد ص يمثل اعلى مراتب الكمال الانساني واعلى مقاماتها , ولهذا يتطلع العارف الى شخصية النبي ص في سيره ومسيرته الحياتية , حيث يسعى العارف الى تحقيق القدر الاكبر من الكمالات الدينية والاخلاقية والروحية , فحمل الانبياء والمرسلون والائمة الطاهرون والاولياء الصالحون راية الاصلاح واقامة القسط والعدل في المجتمعات الانسانية، اذ انهم قد عملوا على تعليم الناس وتربيتهم كما يريد الله وقدموا حياتهم وانفسهم من اجل احكام الله وقوانينه في المجالات المتعددة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وغيرهن، كل ذلك لإسعاد المجتمعات البشرية ولكن كل هذه الاعمال لا تتمتع بالأصالة ولم تكن هدفهم النهائي عند هؤلاء الصالحين اذ "ان جميع هذه الشؤون مقدمة لأمر اخر، وذلك الاخر هو الهدف النهائي، اما تلك المقدمات فهي تعتبر من جملة الاهداف المتوسطة" (اليزدي، بدون: ٣٢)، ولهذا نرى تأكيد ذلك كثيرا من قبل قائد الثورة الاسلامية الامام الخميني "قده" في خطاباته على ان تشكيل هذه الحكومة والدولة الاسلامية في ايران بنشر العدل والقسط هو ليس الهدف النهائي لتلك الدولة بل ان هذه الحكومة وجميع الامور هي مقدمة لكي يتعرف الانسان بصورة افضل واوضح على الله تعالى بمعرفته والتحرك نحوه.

درس مطهري على يد الامام الخميني العرفان والفلسفة فكانت عظيمة الاثر في تكوين فكره وشخصيته , فكان سلوكه العرفاني واضحا من خلال البعد الاخلاقي العملي والنظري , فعمل مطهري وعلى نهج استاذه وقائده على حمل هموم الامة وتطلعاتها منطلقا نحو منهج حياة متكامل غير مقتصر على الجانب العبادي الاخروي بمحرابه وجهاد نفسه بل منطلقا من الله الى الانسان مصارعا لكل اشكال الشيطان من الشهوات الى مقارعة الطغاة والمستكبرين ,فكانت الحياة عنده "ليست وجودا بل سير باتجاه اللانهاية الكمال المطلق الوعي الذاتي المطلق , سير لاكتشاف وخلق القيم المتعالية بشكل مستمر , وليست الحياة قرارا في اي منزل او قالب وشكل , بل هي صيرورة مستمرة للتكامل الانساني" (شريعتي، ٢٠١٠: ص٦٣).

لقد كان عقل مطهري متجاوزا الزمان والمكان، رافضا لكل تقليد اعمى ولو كان ثابتا راسخا، ناقدا ذلك بالتمحيص الواعي بقدرة كبيرة على التحليل والشرح والتفسير, فكانت اسلحته الثقافية والسياسية متعددة , بجوانبها

الروحية والدينية , اذ كان يستخدم "سلاح القلم وارسال الكتب والرسائل المليئة بالمعارف المبرهنة والمواعظ البليغة الى الطرف المقابل" (الاملي، ٢٠٠٩، ص٣٧) , للنصح والتبليغ والارشاد الى الله .

المقصد الثاني: قراءة في حركية مطهري

المطلب الاول: مطهري وايقاظ النفس الانسانية

يحتل الحديث عن مطهري اهمية ومكانة كبيرة لتلك الشخصية العارفة والمفكرة من اثر على تلك الثورة العظيمة، فقد كان عارفا وفاهما ومدركا وواعيا وعقلانيا، وكان ذلك واضحا من خلال عمله الفكري والتثقيفي والاخلاقي وجهده العلمي بصورة مدركة وواعية مقابل الخطوط والتيارات المطروحة في الساحة الايرانية آنذاك، فكانت تجربته تجربة فريدة ومعاصرة قد عايشت الايام والبواكير الاولى لتلك الثورة العظيمة والتي ما زالت البحوث والتحليلات مستمرة عليها ، لما فيها من خصائص ومزايا مختلفة عن سائر الثورات العالمية، اذ انطلقت الكثير من الحركات التحررية بتلك الثورة وبقائدها الذي رسم خطا فكريا وثوريا محركا لها في العمل الاجتماعي والثقافي والسياسي و و و الخ، إذ كان للتأثير الفكري والروحي للإمام الخميني على اتباعه ومحبيه القدرة الكبيرة على اشعال روح الثورة داخل النفوس العطشى, اذ كان تفكيره تفكير العارف والبصير وكانه قادم من بداية الخلق والتكوين راميا ببصره الى نهاية الدنيا ومصيرها , فكان الارتباط بتلك الثورة عن طريق الوعي والعاطفة مؤججا فيهم روح الحماسة في نفوسهم تطبيقا لروح الاسلام , وكان ايضا لثقافة التكليف عند الامام الخميني ارتباطها ومنبعها من تشريعات الاسلام وتأثيرها, حيث يقول "كلنا مأمورون بأداء التكليف والواجب , ولسنا مأمورين بتحقيق النتائج" (الخميني، بدون: ص٥٩).

ان وجود حركة الاصلاح والمصلحين ليس بالضرورة ان يكون نبيا او اماما، بل انسانا عارفا بالتعاليم والحقائق الاسلامية بصورة جيدة، اذ يقوم العلماء العارفون المصلحون بوظيفة التبليغ والدعوة والارشاد الى الدين الخاتم بأحسن وجه, فكان مطهري عارفا , قد فند النظرة السلبية بهروبية وانهزامية الصوفية والعرفاء عن الحياة والعمل السياسي , في حين انها النظرة المأخوذة عليهم , اذ ان ثقافة وتاريخ التصوف تجعل التوكل والتسليم للعالم بيد الاقطاب والاولياء, وهم الولاة والعالم موصول بهمتهم "وانهم يشجعون ويوجهون البشر الى قوتهم وقدرتهم ويبعدونهم عن الاتكال والتقاعس" (الراشدي، ٢٠٠٨: ص١١٣).

كان الارتباط الواعي بين القيادة والجماهير يتلخص في فهم الامام القائد ومعرفته بصورة واعية وعقلانية، فكلفه الامام الخميني عند انتصار الثورة بالعمل في مجلس ادارة الثورة، عاملا على بذل كافة جهده وحياته من اجل تلك الثورة العظيمة وقائدها المفدى فعمل على تنظيم وتأطير وتأسيس وتشريع في مؤسسات الدولة الفتية ,

فقدم صورة واقعية ومفسرا لظواهر الحياة المختلفة واضعا النقاط على الحروف بصورة علمية دون ان يعيش المجتمع بصورة خيلائية , فكان قلبه وعقله قادرا على اكتشاف ومعرفة واقعه وواقع الامة الاسلامية فكان مؤكدا "ان الصوفية او العرفانيين اسهموا بقوة في تجديد التجربة الدينية الاسلامية" (جعفر، ٢٠١٧: ص١٠٢).

لقد كان التغيير ضرورة حياة للمجتمع الايراني، والانتقال الى فضاء وحياة جديدة فقد كانت السلطة الحاكمة البهلوية قد مارست شتى انواع القمع والاستبداد وسلبتهم ابسط الحقوق، وتبعيتهم للغرب والمحاولة في الالتحاق بذلك الركب المهين، واهانة كرامة المواطنين، ومصادرة ارادتهم في الحرية وحق التعبير في جميع القضايا عاملة على تغيير الافكار والقناعات فكان الاثر الغربي واضحا في اكثر الميادين والمجالات والحيثيات الحياتية للمجتمع الايراني، طامسا للهوية وللشخصية الايرانية ولهذا لم "يكن يدور في الخلد قيام ثورة اسلامية خالصة تستطيع اثبات المبادئ السامية وتطبيق الشعائر الاسلامية الحقة من دون استعانة بقوة شرقية او غربية" (عناد، ١٤٣٤هـ: ص٥٩).

ان الضغط الغربي وعلى مدة قرون متعددة قد ادى الى تكوين عوامل نفسية مؤدية الى انحطاط الامة وشعورها بالدونية والنقص داخلا في مستنقع ومأزق حضاري للعالم الاسلامي عموما والمجتمع الايراني خصوصا، فعمل المستعمرون والمستكبرون والطواغيت من الحكام الظالمون في ايران قبل الثورة على السيطرة على مقدرات الامة ، فعملوا على ذهابها وباندفاع باتجاه الغرب، فتشكلت تيارات فكرية وايدلوجية سياسية واجتماعية و و و الخ، فكانت تيارات طامحة الى التغيير ورافضة ومناهضة للاستسلام، تعمل من اجل تحقيق الحرية والعدالة وحقوق الانسان فكان للدور العلمي للعلماء دورا اساسيا وكبيرا ومهما، ومنهم مطهري الذي كان يدعو للعمل على محاربة كل اشكال الظلم والجهل فكان يقول "نستنكر تلك المحاولات الدنيئة من لدن اولئك الذين افرغوا الحياة من محتواها، وصادروا من الانسانية هويتها ووجودها، او نمتعض من التربي في عالم الرذيلة، فإننا لا نكتفي بذلك بل نكرس كل لحظة من لحظات عمرنا لتوطيد دعائم الجانب التربوي في المجتمع" (مطهري، الاسلام ومتطلبات العصر، ١٤١١هـ: ص١٤)

ان التأثر بالغرب وثقافته عند الايرانيين ظاهرة لا علاقة لها لا بالثقافة ولا بالتقاليد ولا بالتأريخ الحضاري، فالتغريب ظاهرة غريبة ومرض اجتماعي خارجي المنشأ، اذ ان المجتمع الايراني يتمتع بخصوصية فريدة في تجربته وتقاليده , فكان مطهري مدركا لطبيعة التغييرات التي احاطت بالمجتمع الايراني فقد شخص اعداء الشعب الايراني والاسلام، فكان يرى بعين المعرفة والبصيرة والوعي كيفية الخضوع للثقافة الغربية وتكريس الاغتراب الروحي والفكري والثقافي، من خلال استلاب وفقدان الهوية، وكيف ان الاعداء لم يدخروا جهدا في التربص والتآمر على الامة الاسلامية مستخدمين كافة الوسائل والاساليب والامكانات مستعملةً السلطة البهلوية والتي

"تفننت في تصفية الخصوم من المعارضين السياسيين ورجال الدين واصحاب الفرق والمذاهب والمتصوفة" (عبد الوهاب، ٢٠٠٩: ص٥٩).

لقد كانت كتابات مطهري كثيرة ومتنوعة في الفكر والفلسفة والعقائد والسيرة والتاريخ والاخلاق والتربية والمرأة والاقتصاد وغيرهن على المستوى والحجم الكمي والنوعي ممن كان لهن الاثر الكبير والمحرك في الساحة الداخلية الايرانية والخارجية الاسلامية , اذ كانت لغته سهلة الفهم وذكية العبارات ومنتقاة بعناية تشهد على ثقافته العالية , فنجحت الثورة الاسلامية في ايران وتبلورت ابعادها من خلال جهود العاملين الفكرية والعلمية بالوعي والبصيرة وباتخاذهم طريق ذات الشوكة وبارتباط العلماء العارفين والفقهاء وحاكميتهم على الامة وثباتهم على المبادئ والصمود في المواقف تجاه كل القضايا , فنجحت الثورة الاسلامية في ايران وكانت "مدعاة للدهشة ومثارا لصدمة عنيفة وقعت كالصاعقة على قيادات الدول المستكبرة والانظمة الظالمة المستبدة" (عناد، ١٤٣٤هـ: ص٥٩).

المطلب الثاني: مطهري البصيرة الملهمة والنافذة

في الفكر الاسلامي الشيعي يعتقد الشيعة بان في وفاة النبي ص هي نهاية مرحلة ختم النبوة وليست مرحلة نهاية الهداة والحجج الالهية فان هذه المرحلة وهذه الفترة مستمرة الى يوم القيامة من خلال الامامة والولاية، وان ما حصل من تغيير هو بكيفية الارتباط بين الله وبين الخلفاء، اذ لا استغناء للبشرية عن وجودهم اطلاقا، اذ ان النبي الخاتم ص قد حمل من قبل الله جميع الشريعة الخاتمة لإيصالها وابلاغها الى جميع البشرية الا انه ونظرا "لعدم تمكنه من عرض تمام الشريعة وابلاغها اليهم تتولى الائمة عليهم السلام ببيان الكثير من العقائد والاحكام، وقاموا بوظيفة النبوة التشريعية بإتمام واكمال رسالة النبي ص" (امامي، ٢٠٠٨: ص٢٧٥).

وبعد ذلك وفي عصر غيبة الامام الثاني عشر ارجع الائمة لعلماء الدين والعارفين به, لانهم لا يريدون ان يكون هناك "فراغا في الموقع الشرعي للسلطة الدينية ومنها السياسية , فكان على الفقهاء ايجاد صيغة فقهية سياسية تشريعية تعمل على مسار تاريخي" (عبد الحسين، ٢٠٢٣: ص٤٢) اذًا فوجود العلماء هو الجابر لفقدان البشرية للأنبياء ولهذا سموا العلماء بورثة الانبياء.

لقد كان هم المفكرين المسلمين عموما والايرانيين خصوصا في القرن المنصرم بعملية احياء الفكر الديني من خلال فهم الدين واحياء قيمه والية التعبير عنه، وبث الحياة في المفاهيم والتشريعات بفهم النصوص المغلقة والجامدة بعملية بناء شخصية وهوية مسلمة قائمة على ابعاد روحية وسلوكية وعقلية، اذ تكون تلك الشخصية قادرة على النهوض والبناء والتنظيم الشامل للمجتمع من خلال تحديد الاهداف والتخطيط للمستقبل للخروج من المأزق الحضاري والسبات العميق الذي احاط المجتمع الاسلامي لمدة قرون من الزمن , فكان مطهري من اولئك

المفكرين الذين يسعون الى تشكيل مشروع نهضوي اصلاحي تجديدي القائم على استشعار المسؤولية لدى الفرد وتحليه بالإيمان والوعي والبصيرة مهمة اساسية في عملية التغيير، اذ تلعب تلك المفاهيم دورا حساسا واساسيا في سبيل التطور والتقدم في كافة مجالات الحياة والتغلب على الموانع والعقبات والتحديات، فشرع في اعمال التفكير والتخطيط واعداد البرامج اللازمة لها ، فكان يرى ان التخطيط لأبناء الامة مهما وضروريا، اذ انه سيجعل منهم قوة وعطاء وبناء للبلد ، وليس جيشا عاجزا وعاطلا وكالًّا لا يرى فيه املا ولا مستقبلا اذ "سيصبح فاقدا لأحاسيس الشوق والمحبة والانتماء، ولن يكون بمقدوره ايضا ان يبرز اعتزازه بوطنه ولا باي شيء اخر" (طهماسبي، ٢٠١٠: ص٧٥).

يرى مطهري ان التجديد منظومة واحدة , لا ينفصل بعضها عن بعض بمكوناتها ومخرجاتها , مستوعبة المعارف الدينية جميعا , فالتجديد شامل لديه بالمنظومة الاسلامية , ولم يقتصر جانبا دون اخر عنده , اي بمعنى انه لم يقتصر على جانب الشريعة فقها وعقيدة , بل على استنطاق جديد للقران والسنة وعلى مجمل الارث الاسلامي والتي استندت عليه التشريعات والقواعد والاحكام , اذ يسعى الى تقديم رؤية كونية مثلى , تستطيع ان تعطي تفسيرا للوجود وبصورة متكاملة , تلامس جميع الجوانب المتصلة بالإسلام بنظامه وايدلوجيته لحياة المجتمع وبغاياته التي يندفع اليها البشر, فنجحت افكار وحركة مطهري في "الاصلاح والتجديد والاحياء , وخبرتها بنبض العصر الذي تعيش فيه , وتفاصيل حاجاته وسائر شؤونه ؛ ليبدأ التحضير والتمهيد لتصحيح الخلل , واعادة البناء , عبر حشد الطاقات وتوجيهها نحو الصواب" (عبد الوهاب، التصوف في سياق النهضة من محمد عبده الى سعيد النورسي، ٢٠١٨: ص١٢)

كان الاسلام الاساس البنيوي في الفكر الاصلاحي والتغييري عند مطهري , فسعى حثيثا لبناء منظومة فكرية تعمل على الوقوف والتصدي لكل اشكال الانحرافات الفكرية والثقافية والدينية الى اخره من الانحرافات وايقاف زحفها نحو المجتمع الاسلامي كالتيارات الشيوعية والعلمانية على حد سواء, فعمل على ايجاد بيئة فكرية موحدة بين ابناء المجتمع الاسلامي عموما والايراني خصوصا , وذلك بترك الخلافات الجزئية خصوصا في المسائل العقائدية وتوحيد الرؤى بإطفاء نار الفتنة الذي يحاول اعداء الاسلام اشعال فتيلها والتي من خلالها يتم اشاعة ثقافتهم وافكارهم , وصولا الى الهدف الذي يبغي الاسلام الوصول اليه , فكان عمله يسير باتجاهين هما اولا "ضرورة اعادة احياء شامل لتعاليم الاسلام... والثاني البحث العميق عن جذور المشكلات التي اوصلت العالم الاسلامي الى ما هو عليه من تخلف وانهيار وترد , ليصار بعدها الى رسم ملامح نهوض شامل على ضوء الاسلام ومن وحيه" (حميه، ٢٠١٣: ٩٥).

لقد عمل مطهري على تحريك النخب الاصلاحية الثقافية والدينية والسياسية وغيرهن , واعطاهن زخما حماسيا نحو التغيير والاصلاح في كل مجالات الحياة , مهيئً لثورة فكرية وروحية كبيرة وهائلة , وفي الوقت ذاته نلاحظ الضغط والمشاهد الدموية التي مارستها السلطة السياسية القائمة آنذاك على ممارسة شتى انواع الاستبداد السياسي مدعوما من قوة خارجية استكباريه لتقود العالم بنظاما عالميا جديدا ومهيمنا عليه , فطغت السلطة السياسية وتفرعنت واستبدت لاجئة الى القمع الدموي للحركات المعارضة محولا تلك الحركات الى حركات مسلحة وسرية ضد السلطة واعوانها وداعميها فكانت من ابرز تلك الحركات التي نظمت نفسها في ذلك النمط المنظم هي المؤتلفة الاسلامية , وحزب الشعوب الاسلامية , وفدائيو الشعب والشيوعية النضالية , ومجاهدوا خلق اي مجاهدو الشعب "فانخرط مطهري في كلا الاسلوبين هذين مناضلا فكريا لقضايا الاسلام والمجتمع , وموجها ومرشدا لحركات الكفاح في اشد مراحل العصر اضطرابا وتشويشا" (حميه، ٢٠١٣: ٩٥).

فولج مطهري في ميادين الحياة المختلفة للارتقاء بها من خلال تغيير حالها , ولم ييأس من الاصلاح الاسلامي مربيا لجيلا روحيا وثوريا , فكانوا خلفا له في خدمة الاسلام , اذ تركت كتاباته تأثيرا عميقا في النفوس , خصوصا في مواضيع طهارة وتزكية الروح والانفس , فكان خطابه عقلانيا متلائما مع عصر التطور والتقنية وعدم بقاءه في عصر الاعتكاف والعزلة وتوظيفه لما يصلح من تطبيقه بما يساهم ويساعد على اصلاح المجتمع , فكان عمله وممارسته على المستوى النظري والتطبيقي قد مزج بين التصوف والعرفان , وبين الفكر والثقافة والفلسفة من جهة اخرى , فكان دوره كبيرا ومؤثرا ورئيسيا في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية مزاوجا بين الاصلاح الديني والاصلاح السياسي , وأسست جمهورية اسلامية من خلال الاسلام المحمدي الاصيل وبشكل يتلاءم مع العصر , ومؤسسا لرأيا عاما اسلاميا مقابلا للرأي العام الغربي , ومنها بدئت ولاحت رايات النصر للإسلام المحمدي الاصيل منطلقة وقادمة من ايران الاسلام .

الخاتمة والنتائج :

حاولت بدراستي هذه الى التعريف بشخصية الشهيد الكبير الشيخ مرتضى مطهري ليس لكونه شخصية فلسفية مفكرة فقط بل كونه شخصية من اهل العرفان انطلقت من المعرفة الحقيقية لله بتوحيده الخالص , وحياته وحركته تتطلب من رواد ودارسي التصوف والعرفان الاسلامي الى قراءة ومتابعة دقيقة لفكره وكتبه وحياته الروحية المليئة بالجوانب والابعاد العرفانية , حتى نستثمر ذلك في بناء حياة ونهضة روحية كبيرة وعالية القيم لمجتمعنا الاسلامي , ولهذا فقد توصلت في بحثنا هذا الى مجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها من خلال مجموعة من النتائج وهي :

١ــ عاش مطهري تجربة عملية حية من العمل كانت من الكمال والطهر والايمان والمحبة في الذات الالهية , فامتزج فكره وفلسفته مع عرفانه واخلاقه مكونة منه انسانا حكيما متالها , فصدر منه ادبا وفكرا وعرفانا يفيض منه حبا وابداعا واشراقا وسمو .

٢ ـ تنوع فائق ومتنوع لكتاباته على المستويات الدينية والفكرية والعرفانية والتاريخية وغيرهن , فقد ترك لنا مطهري ثروة كبيرة من الكتب المتعددة المجالات والالوان وخصوصا على المستوى الاخلاقي العرفاني والفكري , والتي اعطت لهذا التنوع الجميل والبهيج سرا من اسرار جمال الدين الاسلامي , اذ يستطيع المجتمع البشري الاستفادة منها وتطبيقها في اصلاح الذات واصلاح الحياة , فلم يحصر الدين في جانب ويختزله ويقصيه في جانب اخر.

٣ ـ وظف مطهري النصوص القرآنية والسنة النبوية في حركته الجماهيرية الشعبية محركا فيهم الشعور بالمسؤولية الدينية والوطنية تجاه القضايا المعاصرة , ولهذا فأن للعرفان والتصوف دور او ضرورة مجتمعية في نهضة المجتمع ونفض غباره , والتصدي لمسئولياته الشرعية .

٤ ـ جعل من السلوك العرفاني اسلوب حياة عاملا على استخدام المخزون الروحي الكبير والهائل للإسلام في البعدين او المنهجين المعرفي والتربوي في اصلاح الحياة .

٥ ـ تحتاج الامة الاسلامية الى شخصيات عرفانية كشخصية مطهري , صاحبة فيوضات ربانية , تتسم بالعلم والمعرفة والاخلاق , لكي تنتشل الامة من واقعها المزري وتقود المجتمع الى الطريق الصحيح والسليم .

٦ ـ نستطيع اصلاح المجتمع والبشرية جمعاء من خلال الترجمة الصحيحة للجوانب النظرية والعملية للتصوف والعرفان , بأهداف وسلوكيات ممكنة للعمل والتطبيق , مخاطبة الاخرين بعقلانية بعيدة عن الخيالات , ومتلائمة مع الواقع , ومواكبة للتطور التقني السريع , حتى يمكن ان نجذبهم لذلك المشروع الفكري والاخلاقي الجديد .

٧ ـ من خلال سيرة مطهري وشخصيات عرفانية اخرى معاصرة كالإمام الخميني نستطيع ان نغير وجهة النظر السلبية المأخوذة على العرفان والتصوف بعدم وجود اي تأثير للمتصوفة والعرفاء على واقع الحياة الاجتماعية والسياسية .

٨ ـ قوة التأثير الفكري والروحي للإمام الخميني على فكر وسلوك مطهري وعمق العلاقة بينهما.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم. (النجم، آية ٤٢).

احمد طهماسبي. (٢٠١٠: ص٧٥). *كيف نتعلطى مع الشباب في احاديث الامام الخامنئي* (المجلد ط٢). (ترجمة: نوال خليل، المحرر) قم–الجمهورية الاسلامية الايرانية: دار الولاية والثقافة والاعلام.

الشيخ مسعود امامي. (٢٠٠٨: ص٢٧٥). فلسفة ختم النبوة عند الشهيد مطهري–دراسة نقدية. (حيدر حب الله، المحرر) *نصوص معاصرة*، صفحة ٤٤٦.

حسين رسن عبد الحسين. (٢٠٢٣: ص٤٢). *النزعة الصوفية في الفكر السياسي الاسلامي–نماذج مختارة*. بغداد–العراق: اطروحة دكتوراه غير منشورة.

خنجر حميه. (٢٠١٣: ٩٥). *مرتضى مطهري (الاشكالية الاصلاحية وتجديد الفكر الاسلامي)* (المجلد الثانية). بيروت لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي.

روح الله الخميني. (بدون: ص٥٩). *الكلمات القصار*. طهران–ايران: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني–الشؤون الدولية.

عبد الكريم بن هوازن القشيري. (٢٠٢٣: ص٤٨٢). *الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري–الجزء الثاني* (المجلد الرابعة). (تحقيق: عبد الحليم محمود– محمود بن الشريف، المحرر) القاهرة–مصر: دار المعارف.

عبد الله الجوادي الاملي. (٢٠٠٩، ص٣٧). *الحماسة والعرفان*. بيروت–لبنان: الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الواحد بن محمد آمدى. (١٩٨٧: ص٢٣٢). *تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم* (المجلد الاولى). (تحقيق: المصطفى الدرايتي، المحرر) قم–ايران: مكتب الاعلام الاسلامي.

علاء جعفر. (٢٠١٧: ص١٠٢). *اشكالية النص الصوفي في قراءات المستشرقين والباحثين العرب–دراسة في التجربة الصوفية عند ابن عربي* (المجلد الاولى). بغداد–عراق: منشورات اداب المستنصرية.

علي شريعتي. (٢٠١٠: ص٦٣). *الامة والامامة* (المجلد الثالثة). (حسين علي شعيب، المترجمون) بغداد–العراق: دار ابن طاووس.

كاظم قاضي زادة، احمد جهان بزركي، بهرام اخوان كاظمي ، عبد الكريم ال نجف، اسماعيل نعمت اللهي، و رضا حق بناه. (٢٠١٣، ص٢٠٢). *حاكمية الفقه بين السلطة والولاية* (المجلد الاولى). (مجموعة مؤلفين، المحرر) بغداد–العراق: مؤسسة الوعي الاسلامي.

كمال الحيدري. (٢٠١٣: ص٣٩٦). *العرفان الشيعي (رؤى في مرتكزاته النظرية ومسالكه العملية)*. (بقلم الشيخ خليل رزق، المحرر) بيروت–لبنان، لبنان–بيروت: مؤسسة الهدى للطباعة والنشر.

لطيف الراشدي. (٢٠٠٨: ص١١٣). *القصص المعنوية عند الشهيد مطهري* (المجلد الثانية). قم–ايران: مؤسسة دار الكتاب الاسلامي.

مجموعة باحثين. (٢٠٢٠، ص٣٤). *الصوفية اليوم(قراءات معاصرة في مجتمع التصوف ونماذجه)*. (محمد سليمان ابو رمان، المحرر) عمان–الاردن: مؤسسة فريدريش آيبرت، مكتب الاردن والعراق.

محمد باقر الصدر. (١٤٢٨هـ: ص٣٦٢). *ومضات* (المجلد الاولى). (اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر(رض)، المحرر) قم–ايران: مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.

محمد تقي مصباح اليزدي. (بدون: ٣٢). *محاولة للبحث عن العرفان الاسلامي*. (محمد عبد المنعم الخاقاني، المترجمون) بيروت–لبنان: دار التعارف للمطبوعات.

محمد حلمي عبد الوهاب. (٢٠٠٩: ص٥٩). *ولاة واولياء (السلطة والمتصوفة في اسلام العصر الوسيط)* (المجلد الاولى). (تقديم: رضوان السيد، المحرر) بيروت –لبنان: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

محمد حلمي عبد الوهاب. (٢٠١٨: ص١٢). *التصوف في سياق النهضة من محمد عبده الى سعيد النورسي* (المجلد الاولى). بيروت–لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

مرتضى مطهري. (١٤١١هـ: ص١٤). *الاسلام ومتطلبات العصر* (المجلد الاولى). (علي هاشم، المترجمون) مشهد–ايران: مجمع البحوث الاسلامية.

مرتضى مطهري. (٢٠١١، ص١١). *العرفان* (المجلد الثانية). (حسن علي الهاشمي، المترجمون) بيروت–لبنان: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع.

مرتضى مطهري. (٣٠ ٤, ٢٠١٦: ص ١٧٠). *شبكة المعارف الاسلامية*. تاريخ الاسترداد ١٣ ٣, ٢٠٢٤، من موقع شبكة المعارف الاسلامية على ويب:
&cid=695&subcatid=2058&https://almaaref.org/maarefdetails.php?id=16282
supcat=39

مرتضى مطهري. (٢٠١٧، ص١٥٩). *العلوم الاسلامية (١–٥) المنطق، الكلام، العرفان، اصول الفقه، علم الفقه* (المجلد الاولى). (محمد شقير، المترجمون) بيروت–لبنان: دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع.

ناصر حسين عناد. (١٤٣٤هـ: ص٥٩). *الصحوة الاسلامية* (المجلد الاولى١٣٧). بغداد–العراق.